Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خيلنا الكريمة الأصيلة أن تحرن فلا تبرحها أبدا. ويصوِّر حبَّات الندى المتساقطة من الأغصان على أعراف الخيل بحبات اللؤلؤ المفضية. أما الثمار فدانية القطوف شرابًا صافيا يقدَّم لطاعميه دون آنية تحمله، وأما المياه فيداعبها الحصى، وتَصِلّ فيها رنّاته صليلَ الحلى فى أيدى النساء الجميلات. ونكتفى بما عرضناه من لوحتى المتنبى وأبى تمام، مما يصوّر بوضوح روعة مشاهد الطبيعة فى مدائح الشعراء، وهى مشاهد لا تكاد تُحْصَى، تكتظ بها مدائح الشعراء فى كل مكان: فى إيران والعراق والشام ومصر والأندلس، ويشتهر ابن خفاجة بتصاويره البديعة للطبيعة، وهى مبثوثة فى مطالع مدائحه.

ومرَّ بنا قولنا إن قصيدة المديح تحمل - منذ الجاهلية - إدراك الشعراء للحياة. وقد أودعها من قديم الشاعر الجاهلى حكمته التى استخلصها من تجاربه فى حياته. وكأنما يريد لها أن تذيع مع مدحته على جميع الأفواه والألسنة، حتى يزداد الناس فهمًا لحياتهم، واشتهر زهير بحكمه الكثيرة التى أنهى بها مدحته لهَرِم بن سِنان والحارث بن عوف من مثل قوله:

ومَنْ يك ذا فَضْلٍ فيبخلْ بفَضْلِهِ على قومه يُسْتَغْنَ عنه ويُذْمِمِ

وهو يوصى كل صاحب فضل ومال أن يكون بارًّا بقومه، فلا يستأثر بفضله وماله لنفسه. بل يجعل لهم فيه حقا معلوما، وإلا استغنوا عنه وأصبح بينهم ذميما بغيضا. ودائما نرى شاعر الجاهلية ينثر فى مدائحه مثل هذه الحكمة بل قل التعويذة. حتى لا يضلّ معاصروه سبيلهم فى الحياة. ومن ذلك قول النابغة الذبيانى فى مِدْحة قدَّمها إلى النعمان بن المنذر صاحب الحيرة:

ولستَ بِمُسْتَبْقٍ أخًـا لا تلُمُّه على شَعَثٍ أىُّ الرجالِ المهذَّبُ

والنابغة يقول لصاحبه: لا يوجد أخ مبرَّأ من العيوب، فينبغى أن تغفر لأخيك ما يلحقك من عثراته، فتصلح بذلك شعثه وتستبقى أخوَّته بعفوك عن إساءاته وصَفحك عن زَلّاته. وكان الشعر الجاهلى مليئًا بمثل هذه الحكمة وسابقتها، وكان الجاهليون يشغفون بحكمه لما توسَّع من مداركهم وعلمهم